



الأغنية الرمضانيّة في العصر الحديث ”وحوي يا وحوي“ أنموذجًا

صلاح عبد الستار محمد الشهاوي / مصر

والشيخ سلامة حجازي ثم سيد درويش وزكريا أحمد.

لكن أم كلثوم كانت لها وجهة نظر أخرى مع غنائها ”نوّرت يا رمضان“، وتعتبر هذه الأغنية بداية لمدرسة جديدة من مدارس الأغنية الدينيّة والرمضانيّة.

فمنذ ثلاثينات القرن الماضي عندما تخلّت أم كلثوم التي كانت تعمل كمنشدة عن بطانتها (الكورس) واستبدلتها بالتخت الموسيقي العربي، حيث كانت أولى أغنياتها دينيّة بمصاحبة الآلات الموسيقية عام 1926م، ومنذ ذلك الحين بدأ إنتاج ما يعرف بالأغنية الدينيّة.

ومع تحوّل النوع الكلتومي والمواضيع الكلتوميّة إلى مسار موسيقي سائد، صارت الأغنية الرمضانيّة موضوعًا محبّبًا للكثير من المطربين مثل محمد فوزي وأغنيته ”هاتوا الفوانيس يا أولاد“ و”مرحب شهر الصوم“ لعبدالعزیز محمود، و”سبحة رمضان لولو ومرجان“ لفريق الثلاثي المرح، و”تم

في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين لم تظهر الأغنية الرمضانيّة، ولم نستمع لها من المطربين المشهورين أمثال عبده الحامولي، وسلامة حجازي، وسيد درويش، ومحمد عثمان، اللهم إلا بعض النصوص القليلة في مبنائها ومعناها والتي جاءت على السنة صغار المطربين.

وفي نهايات العشرينات من القرن الماضي ظهرت أم كلثوم. ومثلما كان لها الأثر في طغيان قوالب موسيقيّة على أخرى، كان لها الأثر مع الأغنية الدينيّة بشكل عام، والأغنية الرمضانيّة بشكل خاص.

فقبل سيدة الغناء العربي أم كلثوم كان الغناء المرتبط بالدين محصورًا في الابتهالات والموشّحات، ولم تتدخّل الآلات الموسيقيّة كثيرًا في هذه الأنواع الموسيقيّة، مع أنّ أشهر ملحنّين بدايات القرن العشرين هم مشايخ من متخرّجي المعاهد الأزهرية، مثل الشيخ أبو العلا محمد



الأغاني بصوته، إلا أن أياً منها لم ينل شهرة "وحوي يا وحوي".

الجدير بالذكر أن بعض القصص تتردد حول أغنية "وحوي يا وحوي"، إذ كانت الإذاعة المصرية في بداية بثها تعهدت لأحد المطربين بربع ساعة كاملة يقدم خلالها ثلاث أغنيات له الحق في اختيار كلماتها وألحانها والمطرب الذي يؤديها، ووقع الاختيار على المطرب أحمد عبدالقادر الذي استعد لأداء ثلاث أغنيات من بينها أغنية "وحوي يا وحوي" و"رمضان جانا"، وكان وقتها رمضان على الأبواب، إلا أن مسؤولي الإذاعة رفضوا أن يغني الأغنيات الثلاث. فغنى أغنية واحدة هي "وحوي يا وحوي" واضطر لتترك "رمضان جانا" واختار لها المطرب محمد عبدالمطلب.

بقيت أغاني عبدالمطلب وعبدالعزیز محمود و"الثلاثي المرح" هي المسيطرة على الذاكرة السمعية المصرية، مع التذكير بأن التلفزيون والإذاعة المصريين حولاً هذه الأغاني إلى طقس مرتبط بالشهر الكريم، على مدار العقود الأربعة

البدر بدري" لشريفة فاضل، و"يا بركة رمضان خليكي" لمحمد رشدي.

لحن في هذا المجال العديد من ملحنين وشيوخ الغناء آنذاك، نذكر منهم: رياض السنباطي الذي له باع في التلحين الديني وموسمه رمضان من كل عام، حيث بدأه بأغنية "أمتي تعود يا نبي" وهو نوع من المدائح النبوية وغناها أحمد عبدالقادر، وأغنية "القلب يعشق كل جميل" و"سلوا قلبي" و"ولد الهدى" وجميعها غنتها أم كلثوم، "إلهي ما أعظمك" غنتها نجاة الصغيرة، "إله الكون" لحنها وغناها السنباطي بنفسه، كما لحن فريد الأطرش "عليك صلاة الله وسلامه" و"هلت ليالي حلوة وهنيئة"، ولحن الشيخ سيد مكاوي أسماء الله الحسني، ابتهالات المسحراتي، وسبقه في تلحينها للإذاعة محمد فوزي صاحب التلبية الشهيرة.

ولعل أشهر الأغاني المرتبطة بالفولكلور المصري هي "وحوي يا وحوي" التي غناها ولحنها اسم غير معروف هو الملحن أحمد عبدالقادر الذي واكب افتتاح الإذاعة المصرية وغنى العديد من

التي تلت إنتاج الأغنية.

وفي السبعينات قدّم الثنائي محمد الموجي وعبدالحليم حافظ شكلاً جديدًا للابتهاال الملحن وليس المرتجّل: "أنا من تراب" و"يا خالق الزهرة" و"خليني كلمة"، وهي تشبه الابتهاال في كونها غناءً مسترسلًا، ولاستخدامها آلات موسيقية بسيطة كالدفوف والناي.

وفي التسعينات، ومع تغيّر خريطة السوق الغنائية وتعدّد القنوات الفضائية؛ وبالتالي تقلص تأثير التلفزيون المصري على الوعي الجمعي، تغيّرت معطيات كثيرة على الساحة ورفعت أسهم الأغنية الدينية التي صارت بوابة للانتشار لأسماء خفتت أو توارت لبعض الوقت، ومثلما صار الشهر الفضيل فترة للتنافس الدرامي واكتظاظ الشاشات بالمسلسلات في موسم ملازمة البيت، عادت الأغنية الدينية لتكون من واجبات الشهر لدى كثير من المطربين، فأيّ موسم أفضل من شهر العبادة لطرح سلعة تناسب الذوق العام؟ وعليه، جاء مطربو ومطربات الغناء الديني المعاصر الذين أخذوا الشكل العام للإنشاد الديني الموروث وأحدثوا فيه تطوّرات تناسب مع إمكاناتهم الصوتية وموسيقى العصر الحديث، ممّا أدى إلى نشوء ما يُعرف بالأغنية الدينية، والتي أصبحت تُغنى الآن بعدة لغات غير العربية، على الرغم من أنّ اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم.

هكذا، وجدنا عمرو ذياب وهشام عباس ومحمد فؤاد وحسين الجسمي ووائل جزار وغيرهم يتطلّعون إلى كسب مستمع رمضان، وسارعت

شركات الإنتاج لإطلاق ألبومات ستجد زبونها بالتأكيد في هذا التوقيت. لم يقتصر الأمر على ذلك، بل إنّ الساحة الفنية شهدت ظهور مطربين الأغنية الدينية الذين اقتصر أداؤهم عليها، مثل سامي يوسف وماهر زين. وختامًا:

يتحطم الوقت الرمضاني بين ماكينتي الإنتاج الدرامي الهائل والإنتاج الغنائي "الديني"، وتزيد الأعمال عامًا بعد عام، فيتأثر "الكيف" على حساب "الكم".

عشرات الأغاني تخرج كل رمضان، محاولة كسب شرعية الشهر عند المستمعين، لكن تبقى "وحيي يا وحيي"، و"رمضان جانا" هما الأغنيتان الأكثر التصاقًا بالوعي والأكثر قدرة على الاستمرار ■

